



عنوان التقرير

أخلاقيات البحث العلمي

إعداد الطالب/

محي بن أحمد آل زارب

إشراف/

د. الفیصل عبد الحمید

د. فايز جراد

العام الدراسي:

٢٠٢٦

يمثل البحث العلمي حجر الأساس في بناء المعرفة الإنسانية وتطورها، إذ يُسهم بصورة جوهرية في تفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، كما يُعد وسيلة فعّالة لمعالجة القضايا والتحديات التي تواجه المجتمعات. غير أن تحقيق الأهداف المرجوة من البحث العلمي لا يقتصر على الجانب المعرفي فقط، بل يتطلب الالتزام بمجموعة من الضوابط والقيم الأخلاقية التي تنظم العمل البحثي وتضمن سلامته.

وتشير أخلاقيات البحث العلمي إلى مجموعة المبادئ والمعايير السلوكية التي تحكم جميع مراحل العملية البحثية، بدءاً من إعداد خطة البحث وتصميمها، مروراً بجمع المعلومات وتحليلها، وانتهاءً بعرض النتائج ونشرها. ولا يقتصر مفهومها على تجنب الممارسات غير المشروعة أو غير الأخلاقية، بل يشمل كذلك الالتزام بقيم الصدق العلمي، والنزاهة، والحياد، والشفافية، وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع والعلم. وتُعرف أخلاقيات البحث العلمي (Research Ethics) بأنها: "مجموعة المبادئ والقواعد والمعايير الأخلاقية التي توجّه سلوك الباحثين وتنظم ممارساتهم الأكاديمية لضمان حماية حقوق المشاركين ونزاهة العلم." (Resnik, 2020, p. 12)

شهدت أخلاقيات البحث العلمي اهتماماً متزايداً خلال السنوات الأخيرة، خاصة بعد ظهور العديد من القضايا التي أثرت سلباً في مصداقية بعض المؤسسات والجهات البحثية حول العالم، ومن أبرزها حالات التلاعب والتزوير في الأبحاث العلمية والطبية والنفسية، إلى جانب بعض الفضائح المرتبطة بمجال العلوم البيولوجية. وقد أبرزت هذه الوقائع أهمية وجود إطار أخلاقي واضح يضمن نزاهة العملية البحثية ويحافظ على ثقة المجتمع في نتائج الدراسات العلمية.

ويهدف هذا البحث إلى تناول أخلاقيات البحث العلمي من عدة جوانب، تتمثل في توضيح مفهومها وبيان أهميتها، واستعراض المبادئ الأساسية التي تقوم عليها، بالإضافة إلى مناقشة أبرز التحديات والمشكلات الأخلاقية التي قد تواجه الباحث أثناء إجراء دراسته. كما يتناول التقرير أهم القوانين والضوابط الدولية المنظمة لأخلاقيات البحث العلمي، مع توضيف هذه المبادئ بصورة تطبيقية على موضوع البحث محل الدراسة.

ثانياً: أهمية أخلاقيات البحث العلمي

تستمد أخلاقيات البحث العلمي أهميتها من جملة اعتبارات جوهرية تمس صميم العملية البحثية وامتداداتها المجتمعية. ويمكن إيجاز هذه الأهمية على النحو الآتي:

١. صون موثوقية البحث العلمي وسلامته

إن الالتزام بالأخلاقيات يُعدّ شرطاً لازماً لإنتاج معرفة علمية موثوقة وقابلة للتحقق. فحين يلتزم الباحث بالدقة في جمع البيانات وتحليلها، وحين يُوثّق مصادره بأمانة، فإنه يُسهم في بناء صرح معرفي متين تقف عليه الأجيال اللاحقة من الباحثين. وعلى العكس من ذلك، فإن أي خرق أخلاقي، مهما بدا صغيراً، قد يُلقي بظلاله السلبية على مسيرة بأكملها من الأبحاث التراكمية التي تُبنى عليه (Resnik، 2015).

٢. حماية حقوق المشاركين في البحث

يتعامل كثير من الأبحاث العلمية مع بشر أحياء، وهو ما يُرتّب على الباحث مسؤولية أخلاقية وقانونية تجاههم. فالمبادئ الأخلاقية تكفل الحصول على موافقة المشاركين المستنيرة والحرّة، وتضمن سلامتهم الجسدية والنفسية، وتحفظ خصوصيتهم وكرامتهم الإنسانية. وقد وثّق التاريخ حوادث مروعة تجاوز فيها الباحثون هذه الحدود، كتجارب سيفيليس في توسكيجي التي استمرت من عام ١٩٣٢ حتى ١٩٧٢ دون إخبار المشاركين بطبيعتها أو علاجهم، وهو ما أفضى إلى سن قواعد أخلاقية صارمة على المستوى الدولي (Emanuel et al، 2000).

٣. تعزيز ثقة المجتمع بالعلم والباحثين

تقوم العلاقة بين العلم والمجتمع على ركيزة الثقة المتبادلة، فالمجتمع يمنح الباحثين دعمه المادي والمعنوي، ويتوقع في المقابل أن تكون النتائج العلمية صادقة وموضوعية. وحين تتكشف حالات الغش والتزوير والانتحال في الأوساط الأكاديمية، فإنها لا تضر بسمعة أصحابها فحسب، بل تُلقي بظلالها الثقيلة على صورة العلم والمؤسسات البحثية برمتها.

٤. ضمان العدالة في توزيع منافع البحث وأعبائه

تستدعي الأخلاقيات البحثية أن تُوزَّع الفوائد المتحققة من البحث وأعبائه بصورة عادلة على مختلف فئات المجتمع، وأن لا يُحمّل الضعفاء وحدهم أعباء التجريب في حين يجني غيرهم ثمار الاكتشافات. كما تستوجب مراعاة مبدأ العدالة في اختيار المشاركين وتمثيل الفئات المختلفة.

ثالثاً: المبادئ الأساسية لأخلاقيات البحث العلمي

تناولت الدراسات الأكاديمية مجموعة من المبادئ الأساسية التي تشكل الإطار الأخلاقي للبحث العلمي، وتتمثل أبرز هذه المبادئ فيما يأتي:

١. الأمانة العلمية (Scientific Honesty)

يقصد بالأمانة العلمية التزام الباحث بالصدق الكامل في عرض خطوات البحث ونتائجه، مع الامتناع عن تحريف البيانات أو تزويرها أو انتقاء النتائج التي تدعم فرضياته فقط. كما تشمل الاعتراف بنقاط الضعف والقيود التي تتضمنها الدراسة، إضافة إلى عرض النتائج السلبية وعدم إخفائها.

مثال: إذا أجرى أحد الباحثين دراسة لتقييم فعالية علاج معين، وأظهرت النتائج عدم فعاليته أو وجود آثار سلبية له، فإن الواجب الأخلاقي يفرض عليه نشر النتائج كما هي، حتى لو تعارض ذلك مع مصالح الجهة الممولة، لأن إخفاء الحقيقة قد يعرّض حياة المرضى للخطر.

٢. النزاهة (Integrity)

تشير النزاهة إلى التزام الباحث بالتوافق بين المبادئ التي يعلنها والسلوك الذي يمارسه فعلياً أثناء إجراء البحث. ويتضمن ذلك الالتزام بالمنهجية المحددة مسبقاً، وعدم تعديل الإجراءات بهدف الوصول إلى نتائج معينة، إلى جانب الإفصاح عن مصادر التمويل وأي تضارب محتمل في المصالح، مع الاحتفاظ بسجلات البحث بشكل يسمح بمراجعتها والتأكد من صحتها.

مثال: عندما يحصل الباحث على دعم مالي من شركة أو مؤسسة لها مصلحة مباشرة في نتائج الدراسة، يجب عليه التصريح بذلك بوضوح داخل البحث المنشور، لأن إخفاء هذه المعلومات يُعد إخلالاً بمبدأ النزاهة العلمية.

٣. الموضوعية (Objectivity)

تستلزم الموضوعية ابتعاد الباحث قدر الإمكان عن التأثيرات الشخصية أو الفكرية أو الثقافية التي قد تؤثر في تصميم الدراسة أو تفسير نتائجها. ورغم صعوبة الوصول إلى حياد كامل، فإن المطلوب هو إدراك احتمالات التحيز والعمل على الحد منها بوسائل علمية دقيقة.

مثال: عند إعداد استبيان لقياس الرضا الوظيفي داخل مؤسسة معينة، ينبغي أن تكون الأسئلة محايدة ومتوازنة، دون أن تتضمن عبارات توجّه المشاركين نحو إجابات محددة أو توجي بموقف معين.

٤. السرية والخصوصية (Confidentiality & Privacy)

يقوم هذا المبدأ على حماية المعلومات الشخصية للمشاركين وعدم الكشف عنها إلا للأشخاص المخولين بذلك، مع اتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ على أمن البيانات ومنع إساءة استخدامها. مثال: في الدراسات المتعلقة بضحايا العنف الأسري أو القضايا الحساسة، يجب على الباحث إزالة الأسماء والبيانات التعريفية من الملفات البحثية، واستخدام رموز بديلة تحفظ هوية المشاركين، مع تخزين البيانات في أنظمة آمنة يصعب الوصول إليها دون تصريح.

٥. الموافقة المستنيرة (Informed Consent)

تُعد الموافقة المستنيرة من الركائز الأساسية للأبحاث التي تشمل مشاركين من البشر، حيث يجب أن يكون الفرد على دراية كاملة بهدف الدراسة وإجراءاتها والمخاطر المحتملة والفوائد المتوقعة، إضافة إلى توضيح حقه الكامل في الانسحاب من البحث في أي وقت دون أي آثار سلبية. كما ينبغي أن تصدر الموافقة بحرية تامة بعيداً عن أي ضغط أو إكراه.

مثال: عند تنفيذ دراسة نفسية على طلاب الجامعة، ينبغي للباحث شرح طبيعة الدراسة وأهدافها بشكل واضح، والتأكيد على أن المشاركة اختيارية بالكامل، وأن رفض المشاركة أو الانسحاب منها لن يؤثر في تقييمهم الأكاديمي أو علاقتهم بالمؤسسة التعليمية.

رابعاً: القضايا الأخلاقية في البحث العلمي

١. الانتحال العلمي (Plagiarism)

يقصد بالانتحال العلمي استخدام أفكار أو نصوص أو نتائج أو مواد علمية تعود للآخرين دون الإشارة إلى مصادرها الأصلية، سواء تم ذلك بصورة متعمدة أو نتيجة الإهمال وضعف التوثيق. ويُعد هذا السلوك مخالفة واضحة للأمانة العلمية وحقوق الملكية الفكرية. مثال واقعي: أشارت دراسة نشرتها مجلة Nature عام ٢٠١٨ إلى أن عدداً ملحوظاً من طلاب الجامعات حول العالم يمارسون الانتحال العلمي بدرجات متفاوتة، ويرجع ذلك في بعض الأحيان إلى ضعف المعرفة بأساليب الاقتباس والتوثيق الأكاديمي السليم. ولذلك أصبحت الجامعات تعتمد برامج إلكترونية متخصصة للكشف عن التشابه، مثل Turnitin و iThenticate، للحد من هذه الظاهرة.

٢. تلفيق البيانات وتحريفها (Fabrication & Falsification)

يشير هذا النوع من المخالفات إلى اختلاق بيانات غير حقيقية أو إجراء تعديلات متعمدة على النتائج الفعلية بهدف الوصول إلى استنتاجات معينة تخدم فرضية الباحث أو مصالح جهات محددة. ومن أشهر الأمثلة على ذلك قضية الباحث البلجيكي ديدريك ستابيل في عام ٢٠١١، حيث ثبت قيامه

بتلقيق بيانات علمية لسنوات طويلة، مما أدى إلى سحب عشرات الأبحاث المنشورة باسمه وإنهاء عمله الأكاديمي بسبب تلك الممارسات غير الأخلاقية.

٣. التحيز في البحث العلمي (Research Bias)

يحدث التحيز عندما تتأثر الدراسة العلمية بميول الباحث أو توقعاته أو مصالحه الشخصية، الأمر الذي قد ينعكس على تصميم البحث أو اختيار العينة أو تفسير النتائج بطريقة غير موضوعية. وتتعدد صور التحيز، مثل تحيز التأكيد، وتحيز الاختيار، والتحيز في نشر النتائج. مثال افتراضي: إذا اختار أحد الباحثين عينة تضم أفراداً مؤيدين فقط لسياسة معينة من أجل قياس مستوى الرضا عنها، ثم قام بتعميم النتائج على المجتمع بأكمله، فإن ذلك يمثل تحيزاً في اختيار العينة ويؤدي إلى نتائج غير دقيقة ومضللة.

٤. انتهاك الخصوصية (Privacy Violation)

يقع انتهاك الخصوصية عندما يقوم الباحث بجمع معلومات شخصية عن الأفراد أو استخدامها دون الحصول على موافقتهم، أو عند كشف تلك البيانات في غير الأغراض المصرح بها. مثال: استخدام بيانات من حسابات خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي لأغراض بحثية دون إذن أصحابها يُعد مخالفة أخلاقية، حتى وإن كان الوصول إلى تلك البيانات ممكناً من الناحية التقنية.

٥. تضارب المصالح (Conflict of Interest)

ينشأ تضارب المصالح عندما تتداخل المصالح المالية أو المهنية أو الشخصية للباحث مع متطلبات الحياد والموضوعية العلمية، بما قد يؤثر في قراراته أو تفسيره للنتائج بصورة مباشرة أو غير مباشرة. مثال: عندما يحصل باحث على تمويل من شركة تعمل في مجال صناعة التبغ لإجراء دراسة تتعلق بأضرار التدخين، فقد يؤثر هذا التمويل في تصميم الدراسة أو طريقة عرض نتائجها، ما لم يتم الإفصاح عن هذا التمويل واتخاذ إجراءات تضمن الحفاظ على الحياد العلمي.

خامساً: القواعد واللوائح المنظمة لأخلاقيات البحث

١. مجالس مراجعة المؤسسات (Institutional Review Boards - IRB)

نشأت لجان مراجعة البحوث المؤسسية في أعقاب حوادث أخلاقية مروعة، وأبرزها تجارب توسكيجي الأمريكية (١٩٣٢-١٩٧٢). وتضطلع هذه اللجان بمهمة مراجعة الخطط البحثية قبل تنفيذها والتحقق من استيفائها للمعايير الأخلاقية المطلوبة، لا سيما فيما يتعلق بحماية المشاركين البشريين. وقد باتت هذه اللجان إلزامية في معظم الجامعات والمؤسسات البحثية حول العالم.

٢. دليل APA الأخلاقي

يُصدر الاتحاد الأمريكي لعلم النفس (APA) دليلاً أخلاقياً شاملاً يُنظم الممارسة البحثية في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويتناول جوانب الموافقة المستنيرة والسرية وحماية الفئات الهشة كالأطفال وذوي الإعاقات وإشكاليات التأليف والنشر. وقد خضع هذا الدليل لمراجعات دورية متعددة، كان أحدثها الإصدار السابع عام ٢٠٢٠ (APA2020)

٣. المعايير الدولية

ثمة منظومة واسعة من الاتفاقيات والمعايير الدولية التي تُوطّر أخلاقيات البحث، في مقدمتها: إعلان هلسنكي الصادر عن الرابطة الطبية العالمية عام ١٩٦٤ والمتعلق بأبحاث الطب الحيوي، وتقرير بيلمونت الأمريكي الصادر عام ١٩٧٩ الذي أرسى ثلاثة مبادئ جوهرية هي: احترام الأشخاص، والنفعية، والعدالة. وتشكّل هذه المعايير الأساس الذي تنطلق منه التشريعات والسياسات البحثية في أرجاء العالم (Beauchamp & Childress, ٢٠١٩).

سادساً: التطبيق العملي على موضوع البحث

يمثل هذا المحور الجانب العملي من الدراسة، حيث يوضح كيفية توظيف مبادئ أخلاقيات البحث العلمي داخل دراسة تهدف إلى التعرف على مستوى وعي طلاب الدراسات العليا بأخلاقيات البحث العلمي في إحدى المؤسسات الأكاديمية.

١. منهج جمع البيانات والضوابط الأخلاقية المرتبطة به

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استخدام استبيان إلكتروني يوزع على عينة عمدية من موظفي شركة موبايلي. ويتطلب تنفيذ هذا الإجراء الالتزام بعدد من الاعتبارات الأخلاقية، من أهمها:

أ. إعداد الاستبيان بصورة محايدة

تمت صياغة أسئلة الاستبيان بطريقة تراعي الحياد، بحيث لا تتضمن عبارات توجّه المشاركين نحو إجابات محددة أو تعكس توجهاً مسبقاً للباحث. كما تضمن الاستبيان مساحةاً للتعليقات المفتوحة وخيار “أخرى” لإتاحة الفرصة أمام المشاركين للتعبير بحرية عن آرائهم وملاحظاتهم.

ب. ضمان حرية الانسحاب من الدراسة

اشتملت مقدمة الاستبيان على توضيح يؤكد أن المشاركة اختيارية بالكامل، وأن للمشارك الحرية الكاملة في التوقف عن الإجابة أو الانسحاب من الدراسة في أي وقت دون أن يترتب على ذلك أي تأثير أكاديمي أو شخصي.

ج. تجنب أي شكل من أشكال الضغط أو الإكراه

حرص الباحث على عدم استغلال أي علاقة أكاديمية أو إدارية مع المشاركين، خاصة إذا كانوا من داخل المؤسسة نفسها، ولذلك تم توزيع الاستبيان بوسائل محايدة لا تُوحي بوجود التزام بالمشاركة أو توقعات مسبقة من المستجيبين.

د. حماية سرية البيانات والحفاظ على الخصوصية

اتخذت الدراسة عدداً من التدابير العملية التي تهدف إلى حماية بيانات المشاركين وضمان خصوصيتهم، ومن أبرز هذه الإجراءات:

- إعداد الاستبيان دون طلب أي معلومات تعريفية مباشرة تكشف عن هوية المشاركين.
- حفظ البيانات في نظام إلكتروني آمن ومشفر لا يسمح بالوصول إليها إلا للباحث المسؤول.
- عرض النتائج بصورة إجمالية وإحصائية دون الإشارة إلى بيانات فردية أو معلومات شخصية.
- التخلص من البيانات الأصلية بعد انتهاء فترة التحليل وفق السياسة المعتمدة داخل المؤسسة الأكاديمية.

هـ. تطبيق مبدأ الموافقة المستنيرة

تبدأ أداة الدراسة بصفحة خاصة بالموافقة المستنيرة، تتضمن شرحاً واضحاً لهدف البحث وطبيعته، والمدة الزمنية المتوقعة للإجابة، ونوعية البيانات المطلوبة، وآلية استخدامها، بالإضافة إلى بيانات التواصل مع الباحث والجهة المختصة بأخلاقيات البحث العلمي. ولا يتمكن المشارك من الانتقال إلى الاستبيان إلا بعد إقراره بالموافقة على المشاركة بشكل صريح.

و. التعامل مع المخاطر المحتملة

رغم أن الدراسة الحالية تُصنف ضمن الدراسات منخفضة المخاطر، إلا أن هناك بعض الجوانب التي استدعت اتخاذ احتياطات أخلاقية مناسبة، ومنها:

المخاطر النفسية: قد يشعر بعض المشاركون بعدم الارتياح عند الإجابة عن أسئلة تتعلق بممارسات بحثية سابقة، لذلك تم التأكيد على أن الدراسة ذات طابع علمي وتعليمي وليست أداة للمحاسبة أو التقييم الشخصي.

مخاطر إساءة استخدام المعلومات: جرى الحد من هذا الاحتمال من خلال قصر الوصول إلى البيانات الأصلية على الباحث الرئيسي فقط، وعدم إتاحتها لأي جهات خارجية أو ممولين.

تحيز الرغبة الاجتماعية: قد يميل بعض المشاركون إلى تقديم أنفسهم بصورة إيجابية فيما يتعلق بالسلوك الأخلاقي، ولهذا تمت صياغة بعض الأسئلة بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على أن الهدف من الدراسة هو الفهم والتحليل وليس إصدار الأحكام.

ز. الإفصاح عن تضارب المصالح

أوضح الباحث بشكل مباشر عدم وجود أي مصالح مالية أو ارتباطات مؤسسية يمكن أن تؤثر في تصميم الدراسة أو نتائجها. كما أشار إلى أن الدراسة ممولة ذاتياً، وقد تم الإفصاح عن هذه المعلومات أمام لجنة أخلاقيات البحث العلمي والحصول على موافقتها.

سابعاً: الخاتمة والتوصيات

خلص هذا التقرير إلى جملة من النتائج والتوصيات الجوهرية في مجال أخلاقيات البحث العلمي، يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً - على صعيد النتائج: تبين أن أخلاقيات البحث العلمي ليست ترفاً فكرياً أو ضوابط إضافية تُعيق مسيرة الباحث، بل هي الأساس الراسخ الذي يضمن قيمة البحث وصدقته ونفعه الحقيقي. وقد كشف التقرير أن المبادئ الخمسة الكبرى—الأمانة والنزاهة والموضوعية والسرية والموافقة المستنيرة—تشكل منظومة متكاملة متشابكة الحلقات، يتوقف كل منها على الآخر ويُكمّله. كما أظهر التقرير أن القضايا الأخلاقية كالانتحال والتزوير والتحيز وانتهاك الخصوصية وتضارب المصالح تُمثّل تهديداً حقيقياً للمعرفة العلمية، وأن التصدي لها يستلزم تضافر الجهود على المستويين الفردي والمؤسسي.

ثانياً - على صعيد التوصيات: يوصي هذا التقرير بما يأتي:

- إدراج مادة أخلاقيات البحث العلمي ضمن المتطلبات الإجبارية لطلاب الدراسات العليا، مع التركيز على التطبيقات العملية لا الجانب النظري وحده.
- تفعيل لجان أخلاقيات البحث في الجامعات العربية وتزويدها بالصلاحيات والكوادر والموارد الكافية لأداء دورها على الوجه الأمثل.
- تعميم استخدام برامج فحص الاقتباس والانتحال وتدريب الطلاب على أسس التوثيق الصحيح وفق أنماط معترف بها كنمط APA.
- تشجيع ثقافة الشفافية في نشر النتائج البحثية، بما يشمل النتائج السلبية والمحدوديات، لأن ذلك يُعزز من قيمة الأدب العلمي ويُقلل من تحيز النشر.
- بناء بيئة بحثية آمنة تتيح للباحثين الإبلاغ عن المخالفات الأخلاقية دون خشية الانتقام أو التهميش.

المراجع

1. American Psychological Association. (2020). Publication manual of the American Psychological Association (7th ed.).
<https://doi.org/10.1037/0000165-000>
2. Beauchamp, T. L., & Childress, J. F. (2019). Principles of biomedical ethics (8th ed.). Oxford University Press.
3. Emanuel, E. J., Wendler, D., & Grady, C. (2000). What makes clinical research ethical? JAMA, 283(20), 2701–2711.
<https://doi.org/10.1001/jama.283.20.2701>
4. Israel, M., & Hay, I. (2006). Research ethics for social scientists: Between ethical conduct and regulatory compliance. SAGE Publications.
5. Resnik, D. B. (2015). What is ethics in research and why is it important? National Institute of Environmental Health Sciences.
<https://www.niehs.nih.gov/research/resources/bioethics/whatis>